الفصل الأول

مكة المكرمـــة : مقدمـــة تاريخيـــة

نشأة مكة المكرمة

مكة المكرمة بلدة قديمة العهد ، عرفت قبل مجيء إبراهيم عليه السلام إليها؛ ليرفع قواعد البيت العتيق. وعندما وصلها كانت قرية صغيرة تقع في وادي غير ذي زرع، تحيط بها الجبال من كل جانب. وتتفق جميع الروايات على أن جرهم كانت بمكة المكرمة في عهد إسماعيل عليه السلام وأنه تزوج من بنات هذه القبيلة.

وفي أواخر القرن الثالث الميلادي، أو أوائل القرن الرابع الميلادي، استولى على مكة جماعة من سكان جنوب الجزيرة العربية، وطردوا جرهم منها بيد أن جو مكة المكرمة لم يلائم هؤلاء، فغادرتها غالبيتهم، وبقي فيها قسم منهم؛ وهم الذين عرفوا باسم **خزاعة**. وفي منتصف القرن الخامس الميلادي انتقلت الزعامة لقصي بن كلاب أحد أحفاد إسماعيل عليه السلام، وقصي هو الجد الرابع للنبي محمد ﷺ[1].

بنى قصي دار الندوة، ويرى بعض المؤرخين أنها أول دار تبنى في مكة المكرمة؛ إذا لم يكن قبلها من مبان غير الكعبة. ودار الندوة مكان تناقش فيه جميع أمور سكان مكة المكرمة؛ صغيرها، وكبيرها . وسميت **دار الندوة** بهذا الاسم؛ لأنهم كانوا ينتدون بها؛ أي يلتقون فيها للبحث، والمشورة فيما يهمهم من أمور. وقد بقيت قائمة حتى عام ٢٨١ هـ ، حين خربت، فأدخلت في المسجد الحرام.[2]

---

[1] – أحمد السباعي: **تاريخ مكة**، الجزء الأول، ١٣ــ ٢٢.

[2] – ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، الجزء الخامس ، ١٨٦ .

أسماء مكة المكرمة

لمكة المكرمة أسماء متعددة تربو على الثلاثين، وقد نظم القاضي ابن البيضاوي ستة أبيات من الشعر تجمع تلك الأسماء، ثم علل تعدد أسمائها في البيت السابع، فقال :

وما كثرة الأسماء إلا لفضلها حباها بها الرحمن من أجل كعبة [٣]

وأشهر هذه الأسماء : مكة ، وبكة ، وأم القرى ، والبلد الأمين. هذا وقد اختلف المؤرخون في أسباب تسميتها **بمكة**؛ فيرى بعضهم أنها سميت بهذا الاسم لأنها تمك الذنوب؛ أي تذهب بها، أو لأنها تمك الفاجر؛ أي تخرجه منها. وهناك من يرى أنها سميت بهذا الاسم لقلة مائها؛ أخذاً من القول العربي : أمتك الفصيل ضرع أمه أي امتصه.[٤]

موقع مكة المكرمة

تقع مكة المكرمة على خط طول ٣٩ درجه، وخط عرض ٢١ درجه. وتقع بواد غير ذي زرع، وتحيط بها الجبال من كل جانب ، وقد أدى انتشار الحركة العمرانية إلى انتشار الأبنية على الجبال المحيطة بها؛ بل تجاوزت أبنيتها تلك الجبال. وبما أن جبالها متفاوتة في الارتفاع؛ فمن الخطأ إعطاء رقم واحد ليدل على ارتفاعها عن سطح البحر. وفيما ارتفاع بعض الأماكن عن سطح البحر :

- المعابدة : ٣١١ متراً.
- جرول : ٢٧٨ متراً.
- جبل أبي قبيس : ٤٢٠ متراً.

---

[٣] – علي السنجاري : **منائح الكرم** ، الجزء الأول ، ١٠.

[٤] – وزارة الإعلام بحكومة الكويت : **مجلة العربي** . العدد ١٥٨ ، ٥٣.

❖ **جبل هندي** : ٤٣٠ متراً[٥]

أحياء مكة المكرمة

كانت مكة تتكون حتى بداية العهد السعودي من خمسة عشر حياً، هي :

١) سوق الليل
٢) شعب علي
٣) شعب عامر
٤) السليمانية
٥) المعابدة
٦) جرول
٧) النقا
٨) الفلق
٩) القرارة
١٠) الشامية
١١) أجياد
١٢) القشاشية
١٣) الشبيكة
١٤) حارة الباب
١٥) المسفلة

وقد نشأت الأحياء التالية بعد توسع الحركة العمرانية في العهد السعودي.

١٦) العتيبية
١٧) الهنداوية

---

[٥] – محمد طاهر الكردي : **كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم** ، الجزء الأول ، ٢٩ ــ ٣٣ .

١٨) العزيزية

١٩) الششة

٢٠) الروضة

٢١) الخانسة

٢٢) الزاهر

٢٣) حارة الطنديباوي، وفيها شارع المنصور .

٢٤) الرصيفة

٢٥) المشعلية

٢٦) النزهة[٦]

تاريخها السياسي منذ فجر الإسلام

مع إطلالة فجر الإسلام بزغ على مكة المكرمة عهد جديد؛ وطرأ عليها تطور جذري، ذلك أن مكة المكرمة أصبحت مقصد المسلمين من شتى بقاع العالم؛ بعد أن كانت مقصد العرب وحدهم. فإلى المسجد الحرام يولي كل مسلم وجهه خمس مرات في اليوم ، كما يفد إليها في موسم الحج مئات الآلاف من سائر أقطار المعمورة.

وبعد أن فتحها الرسول ﷺ ولى عليها عتاب بن أسيد ﷺ ، وقد امتدت ولايته حتى آخر خلافة أبي بكر الصديق ﷺ . وبقيت مكة المكرمة طيلة العهد الراشدي تدار من قبل وال يعينه الخليفة. وبقيام الدولة الأموية انتقلت القيادة من الحجاز إلى الشام. وقد فعل معاوية ﷺ الشيء الكثير ليعوض على مكة المكرمة والمدينة المنورة ما فقدتاه. وبعد وفاته، تحركت المعارضة في مكة المكرمة بقيادة عبد الله بن الزبير ﷺ ؛ ولكن هذه الحركة لم يكتب

---

[٦] – **المصدر السابق** : الجزء الثاني ، ١٧٦ .

لها النجاح. ولعل صدمة الفشل جعلت المكيين يقبعون بعيداً عن مجريات السياسة في الدولة الإسلامية؛ فأصبحوا يعيشون على مهمش السياسة الإسلامية بعد أن كانوا يعيشون في صميم الأحداث[٧].

ولما دالت الدولة الأموية، انتقلت تبعية مكة المكرمة للدولة العباسية. وأول من وليها من العباسيين داود بن علي ابن عم الخليفة العباسي الأول. وفي العصر العباسي الأول (١٣٢ ــ ٢٣٢ هـ) قام العلويون بثورات متعددة على العباسيين ، وكانت مكة المكرمة منطلق بعض تلك الثورات. هذا وقد خرجت مكة المكرمة من سيطرة العباسيين أربع مرات، ولكن ذلك لم يكن ليدوم في كل مرة إلا فترة قصيرة؛ فجميع الثورات العلوية التي حاولت السيطرة على مكة المكرمة باءت بالفشل. فعندما سرى الضعف في قلب الدولة العباسية، كثرت الاضطرابات، وقامت الثورات في مختلف الأقطار، ومنها ثورات العلويين ، كما تمكن القرامطة من الاستيلاء عليها عام ٣١٧هـ الموافق ٩٢٩م، وأخذوا معهم بعد انسحابهم منها الحجر الأسود، ولم يعيدوه إلى مكة إلا بعد اثنين وعشرين عاماً.

كذلك استولى الإخشيديون على مكة المكرمة عام٣٣١ هـ الموافق ٩٤٢م، واستمر حكمهم لها حتى عام ٣٥٧ هـ الموافق ٩٦٩ م. ففي ذلك العام استطاع أحد العلويين، هو جعفر بن محمد بن الحسين من طردهم منها، وكون ما عرف باسم "**حكومة الطبقة الأولى من الأشراف**". والواقع أن تلك الدولة لم تكن مستقلة تمام الاستقلال؛ ، فقد كان اسم الخليفة الفاطمي يذكر من على منبر المسجد الحرام في نفس السنة التي تأسست فيها هذه الدولة. وفي العام التالي كان خطيب المسجد الحرام يدعو لثلاثة أشخاص في آن واحد : الخليفة الفاطمي، والخليفة العباسي، وأمير القرامطة. وتعليل ذلك أن

---

[٧] – أحمد السباعي : **تاريخ مكة** ، الجزء الأول ، ١٠٢ .

إمكانات تلك الدولة كانت محدودة، وكان حولها عدة قوى متصارعة؛ كل منها تحاول السيطرة على مكة المكرمة، أو ترغب في أن يخطب من على المنبر المكي لرئيسها. وبانتهاء حكم طبقة الأشراف الأولى عام ٤٥٣ هـ انتقل الحكم في مكة المكرمة إلى فرع آخر من الأشراف هم السيمانيون، وقد دام حكمهم لها بضع سنين، وانتقل الحكم بعدها لفرع ثالث من الأشراف هم الهواشم، أو **الطبقة الثالثة من الأشراف**، وقد استمر حكمهم حتى عام ٥٩٧هـ. وفي ظل هذه الدولة كان إمام المسجد الحرام يدعو للفاطميين في أغلب الأحيان، وللعباسيين في بعض الأحيان.

لقد تغير ميزان القوى في العالم الإسلامي بظهور صلاح الدين الأيوبي الذي قضى على الحكم الفاطمي بمصر عام ٥٦٩ هـ. وكان صلاح الدين يعترف بسلطة الخلافة العباسية؛ ولهذا أصبح الخطباء في مصر ــ وكذلك في مكة المكرمة ــ يدعون للخليفة العباسي، ولصلاح الدين الأيوبي.[٨] ثم انتقل الحكم في مكة المكرمة إلى فرع آخر من الأشراف وهم الطبقة الرابعة من الأشراف ، ويعرفون **بأشراف قتادة**؛ نسبة إلى مؤسس حكمهم. واستمر هؤلاء في الحكم حتى أقصاهم السعوديون عن مكة المكرمة عام ١٣٤٣ هـ.

ومن الدول الإسلامية التي أصبح لها نفوذ في مكة المكرمة في القرن السابع الهجري دولة المماليك في مصر، وبنو رسول في اليمن. وبنو رسول أسرة وفدت إلى اليمن منذ الفتح الأيوبي. واستقل عمر بن رسول باليمن عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ، ونال اعتراف الخليفة العباسي ، وكانت زبيد عاصمة دولة بني رسول التي استمرت في الحكم حتى عام ٨٥٨ هـ ١٤٥٤ م. وكان معظم حكام هذه الدولة من بناة المساجد والمدارس.[٩] وقد حدث تنافس

---

[٨] – أحمد السباعي : **المصدر السابق** ، ٢٣٠

[٩] – **دائرة المعارف الإسلامية** ، الجزء العاشر ، ١٠١ ــ ١٠٤.

بين حكام بني رسول والمماليك على بسط النفوذ على مكة المكرمة. ومما زاد في هذا التنافس صراع الأشراف أنفسهم على السلطة؛ فإذا كان الشريف مدعوماً من قبل المماليك، اتجه خصومه صوب اليمن؛ طالبين المساعدة. ا ويمكن القول بوجه عام بأن نفوذ المماليك كان الأقوى. فقد أخذوا يرسلون مراسيم تعيين الأمير الجديد، ويرسلون كذلك مرتبات القائمين على شؤون الحرم. واستمر هذا الوضع في عهد المماليك الشراكسة؛ بل إن تدخلهم في شؤون مكة المكرمة ازداد عن ذي قبل، وأخذوا منذ منتصف القرن التاسع للهجرة يحتفظون بحامية صغيرة في مكة المكرمة، وأصبح رئيس الحامية يشرف على شؤون الحرم والحج.[١٠]

وعندما أصبحت مصر جزءاً من الخلافة العثمانية، ذهب الشريف أبو نمي الثاني إلى مصر، وسلم مفاتيح الحرمين للسلطان سليم سنة ١٥١٧م ، وكان هذا يعني خضوع الحجاز للدولة العثمانية. وقد عهد السلطان سليم بالإمارة إلى الشريف بركات، وابنه أبي نمي الثاني، وبعد وفاة الشريف بركات انفرد ابنه بالحكم. وهكذا أصبح الشريف يعتمد في الوصول إلى الحكم على الفرمان العثماني، علاوة على القوة التي تلزمه للوصول إلى كرسي الحكم.[١١] وقد احتفظ العثمانيون في بداية أمرهم بحامية عسكرية في جدة، وكان رئيس الحامية يحضر حفل تنصيب الحاكم الجديد. ولكنهم لم يكتفوا بذلك؛ بل شددوا من قبضتهم على مكة المكرمة، وأصبحت جماعات من الانكشارية ترابط فيها، وكان ذلك منذ بداية القرن الثاني عشر للهجرة.

وبعد أن أخذت الدعوة الوهابية تنشط في الأراضي الحجازية؛ تمكن السعوديون من احتلال مكة المكرمة عام ١٢١٦هـ الموافق ١٨٠٢م، وبقوا

---

[١٠] – أحمد السباعي : **تاريخ مكة** ، الجزء الأول ، ٢٨٥ ــ ٢٨٧.

[١١] – فؤاد حمزة : **قلب جزيرة العرب** ، ٣١٧ ــ ٣٢٠ .

فيها عشر سنوات ففي عام ١٢٢٦ هـ الموافق ١٨١١م، طلب الباب العالي من والي مصر محمد علي باشا أن يستعيد السيطرة العثمانية على مكة المكرمة، وقد نجح في تلك المهمة. وبعد انسحاب محمد علي من الجزيرة العربية، أصبحت الدولة العثمانية تعين واليا على مكة المكرمة؛ علاوة على حقها في اختيار الشريف الذي تريد. وبذلك أصبحت السلطة ثنائية، وأصبح التنافس على أشده بين الوالي والشريف .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى أجرى شريف مكة المكرمة الحسين ابن علي مباحثات مع بريطانيا، واتفق معها على إعلان الحرب على الخلافة العثمانية، واعترفت به بريطانيا ملكا على الحجاز عام ١٩١٦م. وقد تمكنت قواته من السيطرة على جدة، ومكة المكرمة ،والطائف، بدون مقاومة كبيرة. ولكن حكم الحسين في مكة المكرمة لم يدم طويلا. فقد دخلت القوات السعودية مكة المكرمة في ١٧ ربيع الأول ١٣٤٤ هـ ؛ بعد أن انسحب منها الملك الحسين بن علي.

اهتم الملك عبد العزيز بتنظيم أمور الحجاز منذ دخوله مكة المكرمة. فأصدر في ٢١ صفر ١٣٤٥ هـ **التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية** ، ومما جاء في تلك التعليمات :

١) المملكة مرتبطة ببعضها ارتباطا لا يقبل التجزئة.

٢) إدارة هذه المملكة هي بيد صاحب الجلالة الملك عبد العزيز، ويعين من قبله نائب عام عليها.

٣) عاصمة الدولة مكة المكرمة، واللغة العربية هي لغتها الرسمية.[١٢]

وفي السابع عشر من جمادى الأول عام ١٣٥١ هـ صدرت الإرادة الملكية السنية بتحويل اسم المملكة الحجازية النجدية وملحقتها إلى اسم

---

[١٢] - **صحيفة البلاد السعودية** ، ١٦ ربيع الأول ١٣٧٦ هـ ، ٢ .

المملكة العربية السعودية؛ على أن يسري مفعول ذلك اعتباراً من الحادي والعشرين من جمادى الأولى.

وهكذا الغي مفعول التعليمات الأساسية. وقد ظلت مكة المكرمة مقراً للعديد من الدوائر الرسمية بعد ذلك التاريخ بعدة سنين؛ فقد بقيت مقراً لمديرية المعارف العمومية، ومن بعدها لوزارة المعارف في سنواتها الأولى. وفي ربيع الأول عام ١٣٧٦ هـ انتقلت إدارات وزارة المعارف، ومكاتبها، إلى الرياض.[١٣]

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

لقد رافق عملية الفتوحات الإسلامية هجرة المكيين على نطاق واسع؛ وقد أدى ذلك إلى رخاء هذا البلد الأمين؛ لكثرة الأموال والخيرات التي أخذت ترد إليه. فأخذ الأهالي يعنون بزراعة الأرض، وحفر الآبار، وكثرت البساتين التي كان المكيون يمتلكونها في أراضي الطائف. وبمجيء العباسيين طرأ تطور مهم على حياة المكيين؛ فقد كان إنفاق العباسيين للأموال في مكة المكرمة قليلاً إذا ما قورن بالعهد السابق. وهذا راجع لعدة عوامل، منها خروج مكة المكرمة عليهم أكثر من مرة؛ فتدنت مستويات المعيشة، وبدأ الفقر يزداد، وأخذ المترفون يهجرونها ، وأخذت التكايا تظهر لتؤوي الفقراء.[١٤] ويبدو أن الأمور في مكة المكرمة لم تسر نحو الأحسن بعد ذلك؛ إذ يذكر القطبي المتوفى في القرن العاشر الهجري أنه كان يرى في صباه الظباء تنزل إلى المسعى والحرم؛ لقلة الناس، ولضعف الحياة العامة في المدينة المقدسة.

---

[١٣] – **صحيفة أم القرى**،٢٥ صفر ١٣٤٥ هـ الموافق ٢ سبتمبر ١٩٢٦م ، ٣ ــ ٤ .

[١٤] – أحمد السباعي : **تاريخ مكة** ،الجزء الأول ، ٧٢ – ٧٣ ، ١٠٤ –١٣٤.

وبانتقال الحكم للعثمانيين انتعشت الحالة الاقتصادية بعض الشيء ، فقد خصص السلطان سليم كمية من القمح، ترسل لمكة المكرمة كل عام؛ كي توزع على السكان. واستمر إرسال الصدقات إلى مكة المكرمة عدة قرون. ويصف الحاج عبد الله بورخارت مكة المكرمة بعد أن زارها لأداء فريضة الحج عام ١٨١٥م فيقول :

"الميدان العام الوحيد في قلب البلد هو مربع المسجد الفسيح. وليس ثمة أشجار، أو حدائق تبهج النظر؛ وإنما تدب الحياة في مكة المكرمة أثناء الحج؛ بما يملأ الحوانيت الكثيرة المنتشرة في كل أنحائها من ألوان التجارة... وليس بها خانات لنزول السائحين، ولا ترى فيها قصوراً للعظماء، ولا مساجد كالتي تزين كل حي من أحياء بلاد الشرق الأخرى."[١٥]

وقد بقيت مكة المكرمة على هذا الحال حتى الربع الأول من القرن العشرين. ويصفها حافظ وهبه بأنها كانت عندما دخلها مع الملك عبد العزيز آل سعود مدينة متأخرة في تخطيطها، وطرقها، وحياة أهلها.[١٦] وبعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي كثرت هجرة المسلمين إلى مكة المكرمة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي؛ ولعل الاضطرابات السياسية، والحروب الطاحنة في مختلف أرجاء البلاد الإسلامية، جعل الكثيرين منهم يفضلون العيش فيها؛ ليبتعدوا عن تلك المشاكل. ولا يمكن تجاهل الحافز الديني؛ فالأفئدة المؤمنة تهوي إلى العيش في أقدس بقعة على ظهر الأرض. وأخذت كل جالية تتجمع في ناحية معينة من نواحي مكة المكرمة؛ ولهذا نجد أسماء تنسب لتلك الجاليات، مثل : زقاق المغاربة، وزقاق البخارية، وحي الملاوي.

---

[١٥] – وزارة الأعلام بحكومة الكويت ، **العربي** ، العدد ٧٧ ، ٧١ .

[١٦] – حافظ وهبه : **خمسون عاماً في جزيرة العرب** ،٦٥ .

ومع بداية العهد السعودي طرأت على الحياة في مكة المكرمة، بجميع مظاهرها تغيير جذري. وكان لاكتشاف النفط أكبر الأثر في دفع عجلة التطور في المملكة بأسرها إلى الأمام؛ فتضاعفت مكة المكرمة من حيث سعة العمران، وعدد السكان. وأخذت الدولة تنفق بسخاء على العلم؛ فخصصت المكافآت المالية الشهرية لطلاب المدارس. ومع أن هذه المكافآت قد ألغيت في المراحل الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، إلا أنها ما تزال مستمرة في معاهد المعلمين، وفي الكليات.